المبدأ 32

فكر كما تحب ولكن تصرف كالآخرين

المغزى:

يأنس الناس غالباً ببعض الأفكار والقيم لا لشيء وإنما لما تتضمّنه من محتوى عاطفي قوي في معتقداتهم، ولا يريدون النظر بعيداً عنها، وعندما يتحداهم أحد بالإساءة أو الإهانة والاستخفاف لما يتمثلون من قيم، فإنهم يصبحون عدائيين له. لذا من الحكمة أن يتصرف المرء في مسائل كهذه بأن يتعلّم كيف يُخفي أفكاره ويطلق ما يودّ جمهوره سماعه، وليحرص على عدم الإهانة وجرح المشاعر سواء بشكل مباشر من خلال المجادلات والتسفيه، أو بشكل غير مقصود عبر التحقير والاستخفاف، والأهم من ذلك أن لا يُبدي انزعاجاً من ملاحظات سخيفة أبداها أحدهم، فأصحاب السلطة لا يتجنبون المضايقات فحسب وإنما يبتعدون عن مغبة

مخاطر قد تحدثها، لأن ما يقوله الناس عنا إذا تجنّبناهم أقل ضرراً مما يمكن أن يسببوه لنا إذا لم نتجنّبهم.. حيث ثبت انتشار السفاهة كالأمراض المعدية، لهذا يُنصح بتجنّبها كما نتجنب مرض معد كالكوليرا.

كيف يتعرف الناس على الرجل الحكيم؟ بالطبع ليس مما يقوله في مجالس السادة وصالونات النقاء النخبة، وإنما من خلال معرفته اللبيبة «المقالات المناسبة لكل مقام» فما سيقوله مثلاً في الشارع، سيختلف حتماً عما سيقوله في المجالس الراقية، أي سيتكلم في الطريق بما هو شائع، وهذا ما تقتضيه حكمة الرجال الأقوياء: أن يكون لديهم خزانة ذات قعرين حيث لا يرى الآخرون ما تحتويه عندما يفتحونها ليروا ما بداخلها، عندما تدخل أوساط المجتمع اترك خلفك أفكارك الخاصة والبس القناع الأنسب للمجموعة التي تجد نفسك بينها، ابق بين القطيع ولا تكن كالخروف الأسود الذي يبتعد عنه، فالنعجة التي تشرد عن القطيع تشبع ضرباً، وربما تحاصرها الذئاب وتلتهمها.

المثال

أعرف فتاة تعيش بالقرب من حيّنا في القرية مع والديها وأخيها الصغير، تبلغ من العمر الثامنة عشرة، ما أعلمه عن هذه العائلة أن الأب والأم يظلان دوماً على شجار أمام الأولاد، خاصة

وأن الأم أصغر من زوجها بحوالى عشرين سنة، فلقد تزوجته طمعاً في ماله وليس بداعي الحب، أما هو فأحبها ولذا تزوجها.. ولكن مشاكلهما ازدادت عندما كبر الأولاد وهذا ما دفع بالفتاة بأن تحب شخصاً ليس من مستواها (.؟؟) هرباً من واقع الحال الذي تعيش وعندما أخبرت أمها بالعلاقة غضبت منها وطلبت منها الابتعاد عنه ونسيانه بالمرّة، وعندما اتصل ذات يوم على هاتف المنزل ردّت الأم، وما أن عرفت بأنه هو قامت بتوبيخه وأقفلت الهاتف بوجهه، على ضوء ذلك قامت الأم بإعلام الأب عن «حركات ابنتها» ليقوم هذا الأخير بضربها ومنعها الخروج من المنزل.. ما حدث بعد ذلك أن الفتاة تحدت قرار الأهل (عاصية أمرهم) وأخذت تلتقي بالشاب حين يتسنّى لها ذلك، إلا أنها تعيش حيرةً تتمثل في أسئلة يتداولها البعض: بعضهم يقول بأن على الفتاة أن تمتثل لقرار أهلها بالابتعاد عنه ونسيانه، بعضهم يرى بأن على الأهل النصح والإرشاد بالحسنى، وإفهامها سر الرفض (خاصة وأن الأم تريد لها شريك حياة ثري كوالدها كما فعلت هي.. وليس «إنساناً معدماً») بعضهم قال بضرورة التفاهم مع الفتاة حول رغبتها لأن الصد قد يجعلها تذهب «خطيفة» مع حبيبها، بعضهم يشير بأن على الفتاة أن لا تقف عند رأي أهلها لأنها حياتها الخاصة في نهاية الأمر. إزاء هذه «الآراء المتنوعة» الفتاة محتارة بقرارها، أي موقف يمكن أن نتبناه؟

على ما يبدو أن الفتاة بانتظار حكم بعدما نصب لها الأبوان محاكمة، لعبت فيه الأم دور المدعي العام الذي قدم إفادات صارمة، ليصدر الأب على ضوئها كقاضٍ حُكماً بالإعدام... في الوقت الذي تحتاج فيه الفتاة لمحام دفاع ولما يتسنى لها ذلك... ما هكذا تورد الإبل إذ ربما القرار القضائي المتخذ بحق الفتاة سوف يدفعها للأسوأ بدلاً من الرضوخ... وهذا ما أشير إليه بأن تذهب «خطيفة» مع من تحب... وبذلك يخسر الأهل الابنة ويخسران ثقتها بهما... الأمر يستلزم - في ظل هذه الأجواء المتوترة على جبهة الأسرة - تبصّراً أعمق للمواقف.. ولو اقتضى الأمر إظهار شيءٍ من الرأفة، فقليل منها قد يغير الأمور رأساً على عقب.. لأن الرحمة نصف العدالة كما يقال.

الملخص:

لا تجادل بشكل مستميت آراء رجل مقتنع بآرائه، فالجدال المُستفز لا يجعله يتخلى عما هو مؤمن به. وتجنب إصلاح أخطاء أحدهم أمام الناس مهما كانت نواياك حسنة، لأن إهانة الناس شيء سهل ولكن إعادة ماء الوجه صعب. ولا تحاول السباحة ضد التيار ففي المخالفة شيء من الخطورة.

المرادف:

- أن يكون الحق كله إلى جانبك نصف الوقت خير من أن يكون نصف الحق إلى جانب كل الوقت.

(أحد الحكماء)

- إنني أفضل الأخطاء التي تصدر نتيجة الحماس على الشعور باللامبالاة من جانب رجل يتصف بالحكمة.

(أناتول فرانس)

- من أهم أسباب السعادة أن تكون على وفاق مع ذاتك.

(مونتل)

- ارضَ بما لديك، افرح بما هو الحال عليه، وعندما تدرك أن لا شيء ينقصك ستملك العالم كله.

(تاو تي تشينغ)

■ ■ ■